Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رجال ونساء. والوجه أن يقال إن الرثاء عند العرب فى الجاهلية لا يكاد يختلف عنه فى عصر النبوة، وله خصائص تتعلق به وقد تميزه من غيره فى باقى عصور الأدب العربى، وهنا نورد قول من قال إن ندب الموتى والنواح عليهم هو الصورة الأولى فى الرثاء الجاهلى، والمرأة العربية فى طليعة من بكى واستبكى وندب الموتى، فهاهى ذى الخنساء تبكى معاوية وصخرا[1].

ونعود إلى الباكيات الراثيات من النساء فإذا هند بنت أثاثه ترثى عبيدة بن الحارث بن المطلب:

لقد ضمن الصفراء مجدا وسؤددا ... وحلما أصيلا وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة ... وأرملة تهوى لأشعث كالجذل
وبكيه للأقوام فى كل شتوة ... إذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفرة ... وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلى
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها ... فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى ... ومستنبح أضحى لديه على رسل[2]

فهذا القتيل تبكيه من تشيد به كوهيب معطاء وكأنما تلمح فى شعرها صورة لحاتم الطائى وهو فى الكرم من هو. إنها تسترسل فى وصفه بالكرم وتفصل القول فيه تفصيلا إلا أنها لا تذكره محاربا، إنها تحرص على وصف أنه من أهل البر والأريحية ينال الأرامل والأيتام من بره ما يحفظ الحياة عليهم. إنها لا تعبر عن الحزن إلا تعبيرا ضعيفا وهى تدعو إلى البكاء عليه، إنها معجبة به الإعجاب كله على أنه جواد سخى الكف يغيث الملهوف ويأخذ بيد من تردى فى وهدة الضياع.

وقالت هند بنت عتبة تبكى أباها يوم بدر أشعارا نختار منها لكثرتها:

أعينى جودا بدمع سرب ... على خير خندق لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب

---

(١) لويس شيخو أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء ص٣ (بيروت ١٨٩٦م).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٠٢-٣٠٣ تحقيق د محمد فهمى السرجانى ط دار الفكر، القاهرة.